

تفسير البحر المحيط

@ 233 @ الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه إلا هو . وقال النقاش : إنما سأل لما سمع وعظ مؤمن آل فرعون { ءَامَنَ يَاقَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَثَلَ يَوْمِ الْآخِرَةِ } الآية فرد علم ذلك إلى الله لأنه لم يكن نزلت عليه التوراة . وقيل لما قال { إِنِّي قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } قال فرعون { فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى } فإنها كذبت ثم إنهم ما عذبوا . وقيل : لما قرر أمر المبدأ والدلالة القاطعة على إثبات الصانع قال فرعون : إن كان ما ذكرت في غاية الظهور فما بال القرون الأولى نسوه وتركوه ، فلو كانت الدلالة واضحة وجب على القرون الماضية أن لا يكونوا غافلين عنها . فعارض الحجة النقلية ، ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في إحاطة الله بكل شيء وتبينه لكل معلوم فتعنت وقال : ما تقول في سوائف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد أطراف عددهم ، كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم ، فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده { فِي كِتَابٍ } ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل ، أي { لَا يَضِلُّ } كما تصل أنت { وَلَا يَنْسَى } كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة قاله الزمخشري . .

والظاهر عود الضمير في { عَلِمَهُهَا } إلى { الْقُرُونِ الْأُولَى } أي مكتوب عند ربي في اللوح المحفوظ لا يجوز عليه أن يخطئه شيئاً أو ينساه ، يقال : ضللت الشيء إذا أخطأته ف مكانه ، وضللته لغتان فلم يهتد إليه كقولك : ضللت الطريق والمنزل ولا يقال أضلته إلا إذا ضاع منك كالدابة إذا انفلتت وشبهها قاله الفراء . وقال الزجاج : ضلته أضله إذا جعلته في مكان ولم تدر أين هو ، وأضلته والكتاب هنا اللوح المحفوظ . وقيل { فِي كِتَابٍ } فيما كتبه الملائكة من أحوال البشر . وقيل : الضمير في { عَلِمَهُهَا } عائد على القيامة لأنه سأله عن بعث الأمم . وقال السدي { لَا يَضِلُّ } لا يغفل . وقال ابن عيسى { لَا يَضِلُّ } لا يذهب عليه تقول العرب ضل منزله بغير ألف . وفي الحيوان أضل بغيره بالألف . وقيل : التقدير { لَا يَضِلُّ رَبِّي } الكتاب { وَلَا يَنْسَى } ما فيه قاله مقاتل . وقال القفال { لَا يَضِلُّ } عن معرفة الأشياء فيحيط بكل المعلومات { وَلَا يَنْسَى } إشارة إلى بقاء ذلك العلم أبد الآباد على حاله لا يتغير . وقال الحسن : لا يخطئه وقت البعث ولا ينساه . .

وقال مجاهد : معنى الجملتين واحد وهو إشارة إلى أنه لا يعرض في علمه ما غيره . وقال ابن جرير : لا يخطئ في التدبير فيعتقد في غير الصواب صواباً وإذا عرفه لا ينساه ، وقال

